مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، مالك ملك السماوات والأرضيين ، وأسلم على سيدنا محمد ﷺ ، إمام العالمين وقدوة المهتدين ، وأفصح من نطق بلسان عربي مبين ، أما بعد:

فيتصدى المؤلف في هذا الكتاب لدراسة « لغة الخطاب السياسي في مصر من خلال خطابات الرئيسين جمال عبد الناصر وأنوا السادات » . « دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال » وقد قام المؤلف بتحليل الخطاب السياسي في ضوء اللسانيات المعاصرة ، فقدم جهدًا تحليليًا كشف فيه عن أغوار السياسة ومقصدها ، وجعل اللغة هدفه الأساس ، لأنها لغة التواصل الأولى مع الجماهير ، وأهم وسيلة تأثيرية وإقناعية في الشعوب .

لقد صارت الخطاب محور عدد من الدراسات الحديثة التي اهتمت بدراسة الخطابات المؤثرة في المجتمع (مثل : الخطاب السياسي ، والإعلامي ، والأدبي ... إلخ) والخطاب السياسي واحد من هذه الخطابات التي نالت اهتمام الدارسين ، ويرجع هذا إلى ارتباطه الشديد بالمجتمع ، لما يعكسه من صور التفاعل بين أفراده الذين يعبرون عن أنفسهم باللغة وسيلة الاتصال الأولى بينهم ، فليس هنالك انفكاك بين الخطاب السياسي (المكتوب ، والمنطوق) والمجتمع الذي ينشأ فيه ، فالمفردات ، ودلالتها ، والتراكيب والمضامين ، والقيم التي يتضمنها الخطاب مواريث المجتمع الذي يستخدم اللغة في التعبير عن نفسه .

واللغة وسيلة الاتصال الأولى بين السلطة والجمهور ، لما يتوفر بها من عوامل الإدارك المشترك سريعة الفهم والتأثير والإقناع ، وما تقوم به اللغة من أثر واضح في توجيه حياة الشعوب نحو أهداف السلطة بما تتضمنه من دلالات وأفكار وأدوات تأثير ، ومن ثم يستخدمها السياسيون في التأثير في الجمهور وإقناعه وتوجيهه نحو أهدافهم ، كما تعبر اللغة عن اتجاهات السلطة ، وأهدافها ،وتعكس أحوال المجتمع السياسي ، فالخطاب السياسي نتاج التفاعلات ، والصراعات ، والأزمات بين المجتمعات السياسية ، فضلاً عن

خضوعه لنفوذ السلطة وتأثيرها ، كما أنه يعكس علاقة السلطة بالمجتمع وتطوره وثقافته، وكافة ظروفه ، وعلى هذا فالخطاب السياسي نتاج التفاعلات ، والصراعات، والأزمات بين المجتمعات السياسية ، فضلاً عن خضوعه لنفوذ السلطة وتأثيرها ، كما أن يعكس علاقة السلطة بالمجتمع وتطوره وثقافته ، وكافة ظروفه ، وعلى هذا فالخطاب إفراز للمثيرات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس عليه ، ومن ثم أصبح لكل مجتمع خطابه الخاص الذي يعبر عنه .

ويهدف المؤلف إلى إعطاء وصف صريح ومنظم لخطاب السلطة باعتباره خطابًا واسع الانتشار والتأثير والتفاعل ، وسعى سعيًا دءوبًا إلى التعرف على مكونات الخطاب الداخلية ومضامينه وأفكاره ، والعوامل الخارجية التي أسهمت في إنتاجه ، والمقصد منه – ولم يألُ جهدًا في ذلك – وهذا يساعد على معرفته ، وفهمه فهمًا يتناسب والسياقات الاجتماعية ، والنفسية ، والتاريخية واللغوية .

وقد اختار المؤلف هذا الموضوع للأسباب الآتية :

أولاً : يعد الخطاب السياسي من أكثر الخطابات الحديثة ذيوعًا ، وأقواها نفوذًا ، وأشدها تأثيرًا في توجيه حياة المجتمع السياسي .

ثانيًا : قلة الدراسات اللغوية التي اعتنت بالخطاب السياسي على امتداه الجماهيري في الداخل والخارج بيد أنه لم يأخذ نصيبه من اهتمام الدارسين بعد .

ثالثًا : إدخال الدراسات اللغوية إلى حقل الدراسات السياسية ، وإدخال الخطاب السياسي داخل مجال الدرس اللغوي ، فكلاهما يشد من عضد الآخر ، ويفيد منه ، وذلك يؤدي إلى تقوية أواصر الدين والعروبة بين أبناء الأمة ، وهذه الدراسة تعد محاولة جديدة لإعادة الخطاب السياسي إلى حقل اللغة والبلاغة ، كما كان شأنه قديمًا في التاريخ العربي والإسلامي .

رابعًا : الوقوف على كيفية توظيف اللغة واستخدامها في الخطابات الحية والمتداولة بين أفراد المجتمع ، لرفع المستوى اللغوي لتلك الخطابات ، وأهم تلك الخطابات الخطاب

السياسي ، والخطاب الديني ، والخطاب الإعلامي ، وهذا يؤدي إلى تدويل اللغة العربية لتصبح لغة عالمية ، ورفع مستواها الخطابي ، كما تهدف الدراسة إلى الكشف عن قوة تأثير لغة الخطاب السياسي في الجماهير ، وأثر الأساليب الخطابية المتنوعة في إقناع المتلقي .

وقد قامت دراسة الخطاب السياسي على نظريتين شديدتي الارتباط قريبتي المنهج ، وهما : نظرية تحليل الخطاب Discourse Analysis theory ، ونظرية الاتصال Communication Theory .

أولاً نظرية تحليل الخطاب :

تهدف هذه النظرية إلى إعطاء وصف صريح ومنظم للوحدات اللغوية تحت الدراسة ، وذلك من خلال بعدين لهذا الوصف ، هما النص Text ، والسياق Context .

١- النص : بنية الخطاب الداخلية التي تتألف منها المفردات والتراكيب والجمل .

٢- السياق : وفيه نوعان : سياق لغوي يرتبط ببنية النص الداخلية ، وسياق غير لغوي ، ويعني بدراسة الخطاب في ضوء الظروف الخارجية والمؤثرات المباشرة عليه ، وظروف إنتاجه ، ويدخل في ذلك خصائص السياق الإدراكية ، والاجتماعية ، والثقافية،والمشاركون في الحدث ،وارتباط الخطاب بالمكان ، والزمان .

ويتبين من ذلك أن تحليل الخطاب يتجاوز البنية السطحية إلى دراسة الظروف الخارجية التي أدت إلى إنتاجه ، والمقصد منه ، وهذا يتلاءم مع الخطاب السياسي ، الذي يهتم بالفكرة والمضمون ، ويهدف إلى التأثير والإقناع والتوجيه والضغط على المتلقي ، ويسعى إلى فرض نفوذه عليه ، وذلك من خلال اللغة المباشرة الواقعية والتراكيب البسيطة التي تعبر عن النفس وانفعالاتها ، وتؤثر في سلوك الآخرين ، وتوفر أدوات الإقناع المناسبة ، وتتصل بالواقع الخارجي ، وتعبر عنه ، وتعايشه .

والخطاب السياسي خطاب اجتماعي يرتبط بالمجتمع السياسي الذي يوجه إليه ، ويحمل قيمه ، وتحليل الخطاب ينظر في علاقة المجتمع بالخطاب ،وطريقة التواصل وأدواتها [١].

ودراسة بنية الخطاب الداخلية وحدها ، دون العناصر الخارجية المشاركة فيه تقلل من قيمته ، لأنه خطاب مباشر يعتمد على الأشكال البسيطة والمفردات الواقعية التي يستخدمها الخطاب اليومي ، وترتكز دراسة الخطاب السياسي الحقيقية في معرفة العناصر الداخلية والخارجية معًا ، فالعناصر الخارجية هي التي حققت له نجاحًا اتصاليًا واسعًا ، أضف إلى ذلك أنه خطاب اجتماعي يرتبط بالمحيط الخارجي ،ومن ثم تتجه الدراسة نحو البنية الداخلية على المستوى الصوتي (في الخطاب المنطوق) والمستوى الصرفي ، والتركيبي ، والدلالي ، كما تهتم الدراسة بالمفاهيم الخارجية التي تشكل الخطاب السياسي المتمثلة في السياق الخارجي : الموقف ، والزمان ،والمكان ، والمشاركون في الحدث ، وموضوع الخطاب ،والمقصد من الخطاب ، والأثر الثقافي ،والاجتماعي ، والسياسي ،وجميع المؤثرات الخارجية المباشرة التي تشارك البنية الداخلية في الدلالة ، وتسهم في نجاح عملية الاتصال .

(ثانيًا) نظرية الاتصال :

وهي نظرية حديثة ذات أبعاد قديمة تتعلق بالبلاغة ، والمنطق ، وفن المناظرة والمجادلة ، وقد نشأت في المحاورات السياسية والقضائية عند اليونان ، وتمثلت عند العرب في البلاغة ، وارتبطت تلك النظرية ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع ، كما ارتبطت بحقل السياسة في التاريخ القديم والحديث ، لأنها ذات أبعاد سياسية ، فالاتصال بث معلومات وتحقيق مقاصد ، وهدفه البحث عن وسائل الإقناع الممكنة ، والإقناع أهم مقاصد الخطاب السياسي ، ورجال السياسة هم أحرص الناس على نجاح اتصالهم بالجماهير ، وإقناعهم بمقاصدهم .

---

(١) ارجع إلى كتابنا : خطاب السلطة الإعلامي وتقنية التعبير اللغوي ، مكتبة النهضة المصرية ط١/ ٢٠٠٤م ص ٦ وما بعدها .

والخلاصة أن المؤلف اختار نظريتي تحليل الخطاب والاتصال ، لأنهما تتفقان وطبيعة موضوع البحث ، وتكشفان عما فيه من مكونات تثري البحث اللغوي، وتساعدان المتلقي على معرفة الخطاب وفهمه فهمًا يتناسب والسياقات الاجتماعية والنفسية والتاريخية واللغوية وما فوق اللغوية .

ويشتمل هذا الكتاب على أربعة فصول :

الفصل الأول : مدخل نظري ، ويتضمن دراسة نظرية الاتصال ، ونظرية تحليل الخطاب ، ومنهج المؤلف في تحليل الخطاب .

الفصل الثاني : تحليل الخطاب السياسي المكتوب ، وهو يتضمن دراسة تحليل أربعة خطابات مكتوبة ، خطابين للرئيس جمال عبد الناصر ، وخطابين للرئيس أنور السادات .

الفصل الثالث : تحليل الخطاب السياسي المنطوق ، و يتضمن تحليل أربعة خطابات منطوقة ، خطابين منطوقين للرئيس جمال عبد الناصر ، وخطابين منطوقين للرئيس أنور السادات ، وذلك من خلال التسجيلات الصوتية .

الفصل الرابع : مقارنة بين الخطاب السياسي المكتوب والخطاب السياسي المنطوق ، ويتضمن خصائص كل منهما ، وسمات الخطاب السياسي العامة ،ومقارنة بين الخطاب الناصري والخطاب الساداتي .

وقد اعتمد المؤلف في دراسته على المنهج الأثنوجرافي – التواصلي The Ethnography of Communication [(١)] المتفرع عن مدرسة اللسانيات الاجتماعية Sociolinguistic School ، والذي وضعه أوستن وسيرل ، ثم طوره ، وتوسع فيه اللسانيون ديل هايمز وتشيف ،وجمبرز ، وتانن وغيرهم [(٢)] .

---

(١) سيأتي تفصيل المنهج في نهاية الفصل .

(٢) ارجع إلى : Muriel sabille – troika (١٩٩٠): The Ethnography of Communication. An Introduction ox ford : Blackwell,p ١٠٣

obeikandl.com

وتتناول الدراسة نحو ثلاثة عقود (١٩٥٢م حتى ١٩٨١م) ، وهي فترة غنية بالتغيرات السياسية والاتجاهات والأحداث المؤثرة داخليًا وخارجيًا ، كما أنها تمثل مرحلتين حاسمتين في تاريخ مصر السياسي والأمة العربية ، والعالم ، فقد شهدت تلك المرحلة في بدايتها حركات تحريرية واستقلالية ضد الاستعمار ، كما شهدت صراعات القوى الكبرى على المستوى العالمي .

وقد انعكس ذلك على السياسة المصرية التي نحت نحو القومية أو العروبة ؛ لإقامة قوة ردع ضد الاستعمار ونفوذ القوى الكبرى ، والأطماع الصهيونية .

واختار المؤلف عينات من خطابات الرئيسين جمال عبد الناصر ، ومحمد أنور السادات مادة الدراسة من بين الخطابات السياسية الأخرى التي يبدعها المفكرون والكتاب والمؤرخون والصحفيون ، والمتخصصون في حقل السياسية والمهتمون بها ، لأسباب منها :

أ- أنه خطاب السلطة الحاكمة التي تشكل حضورًا مستمرًا في معظم الخطابات السياسية ، فمعظم تلك الخطابات تهيمن عليها السلطة بنفوذها ، وتوجهها نحو أهدافها .

ب- يعد خطاب السلطة من أقوى تلك الخطابات تأثيرًا ، وتوجيهًا ، ومن ثم يعرف الخطاب السياسي بخطاب السلطة دون غيره .

جـ - سيطرة خطاب السلطة على جميع المؤسسات الإعلامية والاجتماعية والثقافية .... الخ ، ومن ثم تغيب الخطابات الأخرى عن الساحة .

د – صعوبة تطبيق الدراسة على جميع الخطابات السياسية ، ومن ثم اختار المؤلف أقواها تأثيرًا وأوسعها انتشارًا ، وهو خطاب السلطة الحاكمة ، وقد اختار المؤلف عينات من الخطابات الجماهيرية التي ارتبطت بأحداث تاريخية حاسمة ، وحققت اتصالاً واسعًا ، مثل : خطاب الوحدة ١٩٥٨م ،وخطاب التنحي ١٩٦٧م ،وخطاب ١٦ أكتوبر ١٩٧٣م ، وخطاب الكنيست ١٩٧٧م ، وغيرها ، لن هذه الخطابات تمثل فترة الدراسة ،

وتلائم منهج البحث ، وتتوافر بها جوانب دراسية عديدة ، كما أنها تمثل تطور المرحلة السياسية داخليًا وخارجيًا ، وواسعة الانتشار بين الجماهير ، وهذا لا يتوفر لغيرها من خطابات السلطة ، مثل القرارات ،والبيانات ، والرسائل .

وهذا جهد متواضع من المؤلف أمام ما كلله غيره من المؤلفين والمفكرين في حقل السياسة والدراسات اللغوية ، ونسأل الله تعالى أن ينفعنا به وينفع به غيرنا [1]،

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدكتور محمود أبو المعاطي عكاشة

(١) أقدم عظيم شكري وإعزازي لأستاذي وصديقي الحبيب العالم الفاضل الأستاذ الدكتور سيد قطب ، الأستاذ بكلية الألسن ، وأقدم شكري الخاص لأستاذي العظيم وصديقي الحبيب الدكتور محمد العبد صاحب فكرة موضوع الكتاب ورفيقي في إنجازه .

obeikandl.com